## المبحث الأول : صالح باي وعداء أهالي قسنطينة

### المطلب الأول : ثورة الأولياء الصالحين

لقد كان صالح باي ينتهج أسلوب المهادنة وأحيانا المصالحة مع كثير من القبائل المتواجدة في إقليمه ، واستطاع بذلك استمالة الكثير من رجال الدين بالمدينة وبعض المرابطين بالجهة بعد أن صفى له الجو مع العديد من الأعراش والقبائل التي ضمنها ، واتسم هذا العصر بالهدوء النسبي بفضل تحالف أهل قسنطينة مع العثمانيين وخاصة عندما يداهمهم الخطر المشترك ، إلا أنه على الرغم من هذا التضامن والتحالف بين السكان والأتراك في كثير من الأحيان لم يمنع ذلك مع وقوع بعض الانتفاضات والثورات بين الحين والأخر منذ الباي في المدينة وقسنطينة .

لقد تعددت أسباب هذه الانتفاضات والثورات وتنوعت دوافعها ومشاربها واختلفت في اهدافها ، فمنها ما كانت لأسباب دينية ومنها ما كانت دوافع اجتماعية ومنها كانت لعوامل اقتصادية ومنها ما كانت لأهداف سياسية أو عصبية أو شخصية [1] ومن بين الأسباب نذكر

[1] ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 216 .

منها على سبيل المثال :

- المنافسة التي أحدثها صالح باي لمؤسسات الزوايا المجاورة وذلك بإحداثه المدرسة الكتانية بنظامها الداخلي والمحكم التنظيم ، وتخصيص الأوقاف للإنفاق عليها وعلى مسيرها التي نافست مدارس الزوايا منهجا وصيتا وأصبحت تكون المعلمين وأعوان القضاء .

- معارضة بعض الشيوخ لمواقف صالح باي وانتقادهم له بشدة قصد تاليب الرأي العان ضده ومن بينهم **الشيخ محمد الزواوي الحنصالي** من زاوية **الشطابة** .

- تراجع صالح باي عن الإعفاءات التي كانت تستفيد منها الزوايا لحاجته إلى المال لانجاز مشاريعه العمرانية وذلك بإقدامه على توحيد نظام الضرائب مما أزعج من كانوا لا يدفعون [1] .

ومن بين هذه الثورات نذكر :

- **ثورة أحمد الزواوي :** لقد كان **أحمد الزواوي** مرابطا بضواحي المدية ومن أنصار صالح باي ومؤيديه ، كان إلى جانبه عند الشدائد ويسانده أثناء الحروب بالعتاد والمؤن والرجال فقد شارك إلى جانبه في عدة حروب ضد المناوئين له أو ضد هجمات الاسبان على السواحل الشرقية التابعة لبايلك قسنطينة .

إلا أن صداقته انتهت بالعداء الشديد ولم يتفق معه في أمور تتعلق بالسياسة فثار عليه ، وانضم إلى صفوف أعداء الباي والخارجين عليه ، ليعمل على إسقاطه وإزالة حكمه من

[1] فاطمة الزهراء قشي : **قسنطينة في عهد صالح باي** ، مرجع سابق ، ص 131 .

قسنطينة ، فتعرض للمطاردة من طرف جنود صالح باي الذين أشاعوا النهب والتدمير في طريقهم إليه فاضطر أن يغادر مكان إقامته **بجبل وزغار Ouazgar** ويهرب مع طلابه وأتباعه قبل أن ينال العفو من صالح باي [1] ، وظل الثائر

**أحمد الزواوي** معتصما بالجبال المجاورة للمدينة ويحارب السلطة إلى أن توفي ، فدفن بالجبل الذي

يحمل اسمه حتى الآن . **جبل الشيخ الزواوي**. بالقرب من قرية بن زياد التي توجد بالقرب من قسنطينة[2].

وتذكر الرواية الشعبية أن الشيخ قد دعا على صالح باي وابنه وحاشيته وخص بالذكر منهم **أولاد بن زكري** بسوء العاقبة وكان ذلك قبل انتهاء حكم صالح باي بسنة واحدة [3] .

**. ثورة محمد الغراب :** اشتهر بتصوفه وورعه بمدينه قسنطينة ، الذي كان معروفا بمناوأته للأتراك ومقاومته وبغضه الشديد لهم ، فأدى موقفه العدائي هذا من صالح باي إلى تحريض أتباعه ومؤيديه على الثورة ضده ، وهو ما دفع صالح باي إلى تنفيذ حكم الإعدام فيه [4] .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث** ، **مرجع سابق** ، ص 74 .

[2] عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق : **مرجع سابق** ، ص 89 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث** ، مرجع سابق ، ص 74 .

[4] صالح عباد : **مرجع سابق** ، ص 178 .

واختلطت قصة إعدامه بالقصة الشعبية والأسطورة الخيالية ، وتذكر الرواية أنه تحول إلى غراب أسود ضخم الجثة واستقر ببستان الباي المعروف بسيدي **محمد الغراب** ، وهو الأمر الذي خاف منه صالح باي ، فهي ظاهرة غريبة بالنسبة له ، وكان يخشى سوء طالعه ، وحتى يكفر عن تصرفه هذا بنى له ضريحا بقبة بيضاء بناحية **سيدي أحمد الغراب** حاليا ، وهي قريبة من مدينة قسنطينة أصبحت تدعى " **قرية صالح باي** " ، وأصبح قبره مزارا منذ ذلك الوقت من طرف العائلات القسنطنية وحتى الوقت الحاضر[1].

**. شيخ زاوية سيدي عبيد :** لقد اختلفت مع صالح باي لرفض هذا الأخير تسليم قافلة الإبل التي استولى عليها أحد عمال الباي **(ابن زكري)** بحجة أنها كانت تنقل الحبوب إلى عشائر **النمامشة** المعادية له ، رغم أن القافلة يقدر عدد جمالها بألفي جمل [2] ، فقد كان هذا الموقف العدائي من الباي سببا من الأسباب التي دفعت شيخ الزاوية إلى أن يرفع شكواه إلى الداي بالجزائر ، إلى أن هذه الشكوى لم تعد عليه بفائدة وإنما لصالح باي ، لأن الداي امر بقتل عامل الباي الذي لم يقم بأي شيء سوى أنه نفذ أوامر سيده.

وبهذه المواقف العدائية التي كانت بين صالح باي والأولياء الصالحين تسببت له في تحويل تأييد العامة ومساندتهم له بسب الظلم والتعسف والاشتداد في حكمه وهو ما ذكره **محمد الصالح العنتري** في قوله : **<< وصار يظلم الناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى**

---

[1] عبد العزيز فيلالي : **مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة** ، مرجع سابق ، ص 173 .

[2] ناصر الدين سعيدوي : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص 74 .

**الهلاك والهاوية >>** [1] .

## المطلب الثاني : عداء الحضر وأهالي الريف

### . تحول طائفة الحضر عن تأييد صالح باي :

كانت قسنطينة أثناء العهد التركي تتميز بظهور طبقة من الحضر أو البلدية وكان دور كبير في التأثير على الأوضاع السائدة داخل المدينة ، وقد اشتهرت من هذه الطبقة عائلات احتكرت الوظائف الإدارية والثقافية والتجارية بالمدينة مثل **أسر ابن الفكون وابن باديس وابن جلول وابن عبد الجليل** [2]، بفضل

الامتيازات التي تحصلت عليها من الأتراك لتكون سندا لها ، ومع استقرار الاوضاع في عهد صالح باي الذي اكتسبت في عهده مكانة مرموقة استطاع ان يكتسب احترام العامة وتقدير أعيان البلد وهي بدورها قدمت له خدمات كثيرة .

إلا أنه بتغير سياسة صالح باي في أواخر أيامه بفرضه الضرائب على هذه العائلات ، ولم يعد يحترم رأيها ، بل بالغ في مطالبة المالية بالكثير من السكان وإلحاق الضر بهم .

[1] محمد الصالح العنتري : **فريدة منسية ، مصدر سابق** ، ص 77

[2] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص 72 .

كما أن انتهاجه سياسة تصدير المحاصيل الزراعية بكمية كبيرة عن طريق الشركة الملكية الإفريقية التي كانت تنتفع بها هذه العائلات ، لأنها كانت تقوم بمعالجتها بالأفران والمطاحن المتوفرة بقسنطينة والإشراف عليها ، والتي كان عدد أفرانها **18 فرنا** ولكل فرن **مائة (100) خبزة** كبيرة لليوم الواحد ، كما أن طائفة الحضر كانت مسيطرة على كل مطاحن الدقيق التي كان يبلغ عددها (27) رحى تعالج يوميا **534 كيسا** أي ما يعادل **667 هكتولتر** [1] .

وبهذه الأحكام القاسية التي أصدرها صالح باي ضد طائفة الحضر رغم أنه حاول استدراجها لمساندته عندما أعلن عصيانه إلا أنها لم تثق به وابتعدت عنه خوفا من مضايقاته ومطالبه المالية الثقيلة ، وقد عبر الشيخ **سيدي عبد الحق الفكون** شيخ البلد آنذاك عن هذا الموقف المعادي لصالح باي عندما أجاب الباي صالح الذي اتهمه بالغدر لأنه استدرجه ليقض عليه من طرف آغا محلة الجزائر إذ أجاب صالح باي بصريح العبارة **<< الغدر منك وفيك ولا في أهل البلد >>** [2] .

## . عداء أهالي الأرياف لصالح باي :

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص 72 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **نفس المرجع** ، ص 73 .

لقد استطاع صالح أن يمد نفوذه على مناطق واسعة من بايلك الشرق وهذا بفضل شيوخ القبائل ورؤساء العشائر التي كانت تساعده لأنه قام بمنحهم امتيازات وهذا بفضل تعامله مع رؤساء الاسر الكبيرة **كأولاد مقران بمجانة وأولاد بوعكاز بالصحراء وأولاد عاشور بفرجيوة والأحرار وأولاد قاسم بالجهات الجنوبية والشرقية لقسنطينة** وبهذا استطاع أن يكسب العامة الى جانبه وتقديرهم ، وبهذا أقر سلطة البايلك على هذه المناطق والتي بقيت شبه مستقلة .

وبتغير سيرة صالح باي وسلوكه تجاه الناس فأخذ يظلمهم دون مبرر ويفرض عليهم الضرائب المرهقة ولا يراعي أوضاعهم الاجتماعية وحتى السياسية [1] ، وهو ما أدى بزعماء القبائل وشيوخها إلى معارضته وعدم تأييده أمثال الشيخ **محمد الذباح** الذي لم يستطع صالح باي استدراجه للدخول تحت نفوذه وسلطته والتحالف معه والتصدي له أمثال **أولاد مقران وشيخ العرب بالصحراء** بالانضمام إلى جيش **حسن باي** وهو في طريقه للقضاء على تمرد صالح باي وتعسفه إثر مقتل **إبراهيم باي** بحجة علاقة المصاهرة التي كانت تربطهم بـ **حسن باي** [2] ،

وبهذه التصرفات القاسية والشديدة من صالح باي التي أدت إلى تغيير أسلوبه في الحكم وبالتالي إلى معارضة أولياء وأهالي قسنطينة وعدائهم تسبب في تنحيته من الحكم والانقلاب عليه .

---

[1] محمد الصالح العنتري : **مصدر سابق** ، ص 79 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وأبحاث** ، **مرجع سابق** ، ص 73 .

## المبحث الثاني مؤامرة التخلص من صالح باي

### المطلب الأول : قضية القمح ومقتل الخزناجي

لقد بدأت مسألة التجارة الخارجية في عهد **محمد بن عثمان باشا** خاصة بعد الثورة الفرنسية ، وزاد ثقلها على السلطة في الجزائر عامة وبايلك الشرق خاصة بازدهار التجارة فيه ، وكانت السلطة التركية قد لجأت الى تشجيع التصدير ، تصدير الحبوب بالخصوص لتعويض ما فقدته مداخيل القرصنة البحرية .

ولقد كان **محمد عثمان باشا** يأمر صالح باي بأن لا يرسل القمح الى بلاد النصارى وهذا حسب رواية **الشريف الزهار** :**<< وكان الباشا قد أوصى البايات من قبل ، أن لايبيعوا ، فأجابه الباي أن الوسق قد وقع بالفعل ، فقال له الباشا ألم يصلك كتابي ؟ ، قال بل وصلني لكن بعد ذالك وصل لي كتاب من الخزناجي ، يأمرني فيه بأن نترك الوسق حرا لمن بيده كتاب منه ، فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له بوسق العدد المذكور في الكتاب وهذه هي كتب الخزناجي ، فغضب الأمير على الخزناجي >>** [1].

[1] احمد الشريف الزهار : **مصدر سابق** ، ص 76 .

غير أن خزناجي الباشا بعث جوابا من غير علم الباشا الى صالح باي ببيع القمح إلى الاسبان من مرسى عنابة **<< الخزناجي هو الذي وراء هذه المؤامرات فاختلس طابع الباشا الشخصي وكتب به رسالة إلى صالح باي يأمر بوسق الحبوب لتجار اسبانيا >>** [1] لكل من بيده إذن من الخزناجي المذكور ، وهذا يدل على مدى حرية تصرفه في توجيه سياسة الباي التجارية بتفضيل مصدر أجنبي على الأخر دون استشارة الداي في ذلك .

ووصل الخبر إلى الداي بأن صالح باي مازال يرسل القمح إلى النصارى على خلاف ما أمره به الباشا ، وعند ذهاب صالح باي إلى الداي لتهنئته على الصلح بين الجزائر و الاسبان ، وتقديم الدنوش فبدأ يلومه على قضية القمح ، إلا أن الباي أخبره بأن الخزناجي هو الذي قام بهذا البيع ، فغضب الباشا على الخزناجي ، وقد كان لهذا الأخير بنتان الأولى زوجة **حسن وكيل الحرج** * والثانية من الخزندار ، فطلب الداي من **حسن وكيل الحرج** بقتل صهره الخزناجي ، وبهذا تم قتله وعين مكانه زوج ابنته **حسن بن محمد** ، وزوج ابنته الثانية **علي برغل** وكيلا للحرج ، وعرفت ابنتا الخزناجي أن صالح باي هو المسبب في قتل أبيهما وطلبتا زوجيهما الثأر له .

[1] مجهول : **مصدر سابق** ، ص 76 .

* وكيل الحرج : هو موظف سامي يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية ، ويشرف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر ، وتتوسع صلاحياته في بعض الأحيان إلى الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية ، راجع حنيفي هلايلي : **مرجع سابق** ، ص 141 .

وبذلك أوقف صالح باي صفقة تصدير الحبوب إلى أوربا التي كانت تتم بين اليهود والخزناجي ، وبدأ تآمر اليهود على الباي بعد انتهاجه أسلوب مراقبة الصادرات واحترام أوامر الداي الذي أراد الاحتفاظ بفائض الحبوب للسنوات العجاف .

ويذكر أن اليهودي **يعقوب بكري** قد أسس شركة تقوم بالوساطة بين مصالح بايلك الشرق والشركة الفرنسية لتسهيل تصدير الحبوب والصوف إلى أوربا ثم توسعت الشركة في نشاطها التجاري حتى أصبحت تساهم في القوافل التجارية بين تونس و قسنطينة لينتهي بها الأمر إلى الاستيلاء على تجارة تونس مع الشرق الجزائري .

ولقد كانت هناك علاقة بين **بكري** ومكانة له لدى وكيل الحرج **حسن بن محمد** ، خاصة أن هذا الأخير سيصبح دايا بعد وفاة **محمد عثمان باشا** ، ويسهل الأمر على تآمر الاحتكارات اليهودية على النشاط التجاري الجزائري والاستيلاء عليه ، وهذا عن طريق الضغوطات التي كانت تمارسها على الداي الجديد وبهذا امتلك **بكري وبوشناق** حق شراء القمح وتصديره سنة 1794م [1] .

بحيث أصبحت التجارة الخارجية حكرا على اليهود وحدهم ، وفي الوقت الذي كانت البلاد تتخبط في مشاكل اقتصادية خطيرة كان اليهود والأجانب يجنون أرباحا طائلة من المواد الجزائرية المختلفة التي كانوا يصدرونها إلى الخارج ، وهكذا بدأ نفوذ اليهود يزداد في الجزائر

[1] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص 75 .

شيئا فشيئا إلى أن بلغ ذروته في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن الذي يليه[1].

وبهذا اجتمعت الأسباب وكثر منافسي صالح باي من الأتراك بالإضافة إلى اليهود ليصبح بقاءه غير مرغوب فيه خاصة بعد وفاة الداي **محمد عثمان باشا** سنة 1791م ، والتحريض على تنحيته من طرف اليهود أنه وقف عقلة في طريق استثماراتها و أنها كانت ترمي للسيطرة على بايلك الشرق وثرواته الطبيعية التي يزخر بها خاصة بعد التطور الاقتصادي الذي عرفته قسنطينة خلال ولاية صالح باي .

كما أن الداي حسن بن محمد راسل السلطات الفرنسية وأخبرها بأن **يعقوب بكري** اليهودي هو الممثل المفوض لرعاية مصالحه ، وأن مستشاره الخاص هو **نفتالي** اليهودي الذي توسط لـ **مصطفى الوزناجي**

باي التيطري سنة 1792م لدى الداي حتى يبقي على حياته ، ثم بعدها سعى لدى الداي لتعيينه بايا على قسنطينة وهو ما أصبح عليه خلفا لـ **حسن بوحنك** عام 1795م [2] .

وتذكر **فاطمة الزهراء قشي** أن **حسن بن محمد** وكيل الحرج سابقا هو صهر **حسين بن حسن بوحنك** خصم صالح باي ومنافسه ، وصهره **إبراهيم بوصبع** الذي كان قائد الزمالة ببايلك قسنطينة مع صالح باي وقد أبعده هذا الأخير فاضطر أن يلتجأ إلى الجزائر وتولى قيادة السباو ، وبعد أن عزله صالح باي وكاد أن يقتله وتتمثل علاقة المصاهرة في أن

[1] عمار هلال : **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م)** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م ، ص 34 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وابحاث ، مرجع سابق** ، ص 76 .

ثلاثتهم تزوجوا من بنات الشيخ **ابن قانة** شيخ العرب ببسكرة **(أي أن وكيل الحرج صاهر الخزناجي وابن قانة في نفس الوقت)** [1] ، وبالتالي كانت أسباب تنحية صالح باي من منصبه هي أسباب سياسية والنزاع حول المناصب .

## المطلب الثاني : عزل صالح باي وقتله

تغير نظام الحكم بالجزائر وحمل معه عدة تحويلات في مناصب الدولة فكان عامل من العوامل التي أدت إلى انتهاء حكم صالح باي ، فبعد وفاة الداي **محمد عثمان باشا** ، عين مكانه الخزناجي **حسن بن محمد** سنة 1791م الذي قام بعزل صالح باي ، حيث قال **حمدان بن عثمان خوجة** عن وضع البايات :**<< كان البايات في الفترة الأولى لا يعزلون إلا نادرا ولكن في العقود الأخيرة ، كثرة التغيرات ، والاغتيالات في سلك البايات >>** [2] ويرجع ذلك إلى سياسة الدايات المتشددة ، كما أنه يمكن إرجاع سبب ضعف مركز البايات إلى الاضطرابات والثورات التي عمت أرجاء البايبك .

فقد كان الوضع في عهد أواخر البايات مضطربا حقا ، حيث كانوا مضطرين أن يحكموا بياليكهم بقبضة من حديد حتى يتمكنوا من جمع الضرائب التي تسمح لهم بالاحتفاظ

---

[1] فاطمة الزهراء قشي : **قسنطينة في عهد صالح باي ، مرجع سابق** ، ص 76 .

[2] حمدان بن عثمان خوجة : **المرآة (تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1975م ، ص 173 .

بمناصبهم ، إلا أن هذا كان يعرض حياتهم للخطر ، إما أن تقتلهم القبائل الثائرة أو تقتلهم الانكشارية بأمر من الداي كما حدث ذلك مع صالح باي .

حيث أن صالح باي لم يكن يعلم ما الذي ينتظره عند ذهابه إلى الجزائر في سبتمبر 1791م ليقدم الدنوش : **<< وأتى معه بأموال لا تحصى ، ودخل الجزائر في يوم مشهود ومن عين الربط وهو يوزع الضبلون* للفقراء وغيرهم حتى دخل دار الإمارة ، وأعطى مالا كبيرا للأمير ... >>**[1] .

لأن صالح باي كانت له أموال طائلة نظرا للمدة التي قضاها على بايلك قسنطينة حيث كانت تقارب ما كان في خزانة الجزائر ، حيث قام يوزع الأموال والهدايا على فقراء مدينة الجزائر ، كما أعطى الكثير من الأموال للداي وأهله ، وتمت ضيافته من طرف الداي ، إلا أن الداي كان خائفا من الباي أن يثور عليه لاسيما وان الكثير من الإشاعات مفادها أن بناء جسر القنطرة وجلب الماء إلى المدينة عن طريق هذا الجسر يهدف من ورائه صالح باي إلى إعلان الانفصال على الحكم المركزي بالجزائر ولكثرة أمواله الطائلة زاد من مخاوف الداي وحثه على التعجيل بعزله ، وهذا ما دفع الشيخ **المبارك** أن يذكر صالح باي : **<< أنه جمع من الأموال ما لم يجمعه غيره >>** [2] .

* الضبلون : قطعة فضية كبيرة تمثل اثنين من قطع الدورو .

[1] أحمد الشريف الزهار : **مصدر سابق** ، ص 86 .

[2] ناصر الدين سعيدوني : **دراسات وأبحاث** ، **مرجع سابق** ، ص 76 .

وهذا ما جعل الداي **حسن** أن يتصرف معه بأسلوب غير لائق ، لما هم بالعودة فألبسه الداي عمامة حسب رواية **الزهار** : **<< ألبسه عمامة مبرجة مثل الخواجة وجعل له فيها ريشة من الذهب يسمونها باللسان التركي ((تشاناك)) >>** [1] وهو لباس ليس للبايات فأدرك الباي أنها علامة قتله فهي تمثل الكفن ، وعند توديعه أمر الزرناجي* أن يضرب له نغمة **<< لا حال يدوم >>** .

كما أن زوجة الداي **حسن** ابنة الخزناجي كان لها يد في قتل صالح باي بتحريض زوجها عليه لاسيما أنها كانت حاقدة على الباي وأرادت الانتقام لأبيها .

فأمر الداي بعزل صالح باي وقام بتعيين **إبراهيم بوصبع** على بايلك الشرق وتم سجن صالح باي ، فكان هذا العزل سببا حقيقيا في الثورة على حكومة الداي وتعامل مع هذا العزل كرجل مجروح وحاقد وليس كسياسي مناور ورفض التنحي عن المسؤولية ، رغم أن **إبراهيم باي** حاول أن يهدأ من روعه ويطلق سراحه ، إلا أنه لم يقبل واتفق مع جماعته وأعوانه من المخزن** على قتل الباي الجديد الذي بعثه الداي ، وهذا يعتبر إهانة وتمرد على الداي .

وتذكر المصادر أنه رغم أن هذا الباي الجديد وقف مع صالح باي وهون الأمر عليه إلا أن صالح باي لم يسلم بهذه النهاية المتواضعة حيث يقول العنتري « **فتكلم سرا مع الأتراك**

---

[1] أحمد الشريف الزّهار : **مصدر سابق** ، ص 86 .

* الزرناجي أي رئيس الفرقة الموسيقية التقليدية التي تعزف ألحانها بواسطة الزرنة وهي ناد متطور ، ولا تزال تستعمل إلى الآن بالجزائر.

** المخزن : كلمة عربية يمنية قديمة ، أدخلت في الإصطلاح العثماني ، ومعناها الحكومة أو الدولة ، ويستعمل بنفس المعنى في المغرب الأقصى

**والمماليك... واتفقوا على قتل إبراهيم باي ليلا»**[1] فانطلقوا بعدها إلى مقر الباي وقتلوه ومن معه وكان عددهم حسب صالح العنتري "**مائة نفس بالعدد**" ، وهنا تختلف الروايات حول مقتل هذا الباي ، فبعض المصادر ترى أنه قتل من طرف موظفي وأنصار صالح باي وهم خزندار ، والجنحري وقائد المنصورة ، والمزوار، فعزموا على قتل الباي الجديد وإعادة صالح باي لملكه ، وإذا وقف الباشا ضدهم، فإنهم سيعلنون استقلال بايلك الشرق على الجزائر، حيث جاء في مخطوط" بايات قسنطينة" على لسان صاحبه «... **وبعد ذلك طلعوا لصالح باي جنوده من الحبس وقصوا عليه الفعل الذي فعلوه، فأنكر عليهم ذلك ، وقال لهم: بئس الفعل الذي فعلتوه...** » ، أي أن صالح باي لم يشارك في عملية القتل ولم يكن راضيا بها[2] ، بينما ابن العطار فيجعل صالح باي هو القاتل حيث يقول:« **ثم وكان أن صالح باي لم يرضى بهذا الاتفاق، فتكلم مع خواصه من الأتراك**»[3] ، ويشاركه العنتري في الرأي فيقول: «... **وكان صالح باي أضمر في نفسه الخدعة،... هجم صالح باي في الليل ، ودخل على الباي بوصبع وقتله في فراشه ، وقتل جميع خدامه ، وهم مائة نفس بالعدد**»[4].

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق؛ ص 296.

[2] حساني مختار: **المرجع السابق** ؛ ص 53.

[3] مجهول : **مصدر سابق** ، ص 47.

[4] يحي بوعزيز: **المرجع السابق**؛ ص 79

وبالتالي تختلف الروايات حول هذه المسألة ولكن أغلبها تجمع على أن صالح باي كان له يد في هذه العملية [1] ، التي أعقبت صراع كبير بين مناصري صالح باي ومعارضيه ، ولكن بعد أن تيقنوا بخطورة هذا التمرد وعواقبه الوخيمة عليهم ، وحتى يتنصلوا من مغبة هذه المشكلة ، بادروا بمكاتبة الباشا بالجزائر، وأبلغوه عن تخليهم عنه، وبذلك سهلوا على الباي الجديد الحسن بوحنك* الذي بعثه الداي من الجزائر ، على وضع حد لهذا التمرد ، وبالفعل تمكن هذا الباي من إلقاء القبض على صالح باي ، بتواطؤ مع شيخ البلد **ابن الفكون** * .

ويعد هذا التمرد الذي قام به صالح باي عمل لا يغتفر من قوته وجبروته خصوصا لدى أهالي قسنطينة الذين أبدوا استعدادهم لحمايته ، حيث فاجأ الجميع بتصرفاته هذه وكشف نقاط ضعفه ولم يبق له سند أو دعم يعينه ، فأرسل الداي بايا جديدا وهو **حسين باي بن حسن بوحنك** رفقة قوات من الانكشارية لتصفية صالح باي وإعادة الهدوء إلى قسنطينة ، فوجد في ذلك فرصة لينتقم لنفسه وصهره **إبراهيم باي** .

وما كاد يصل إلى قسنطينة حتى وجد أهلها قد قبضوا على الباي المخلوع وإيداعه السجن وقام الباي الجديد بمصادرة أموال صالح باي من الأثاث والتحف والسلاح الثمينة وإرسالها

---

[1] نهاد عبد العظيم : **نهاية الخلافة العثمانية** ، ج 3 ، المطبعة العلوية ، المغرب ، 1993م ؛ ص ص ص 118،120،121.

* الحسن بوحنك : كانت ولايته سنة 1792 بعد مقتل صالح باي، استمال إليه خصوم صالح باي، و يقال أنه في أواخر أيامه أصيب بمرض في رجله و قيل أيضا في عقله ( الجنون) فأمر الداي بعزله و إعدامه و دفن في مسجد سيدي اخضر، أنظر يحي بوعزيز: **المرجع السابق**؛ ص 67.

* ابن الفكون : عائلة علم و دين في قسنطينة، لها دور فعال في إصدار القرارات ومثال ذلك أن صالح باي رفض تسليم نفسه إلا بحضور الشيخ ابن الفكون و هذا دليل واضح على نفوذ هذه العائلة ، للمزيد من المعلومات أنظر عبد الكريم الفكون : **منشور الهداية** ، تحقيق أبوالقاسم سعد الله ، دار الغرب الاسلامي ، 122

إلى الخزينة العامة بالجزائر[1] .

وتم تنفيذ حكم الإعدام في صالح باي **يوم الأحد 16 محرم 1207هـ / 01 سبتمبر1792م** ، ودفن بمقبرة المدرسة الكتانية[2] ولا يزال ضريحه معروفا بها إلى اليوم بجانب أفراد عائلته [3] ، وبموته عمّ الحزن والأسى على أهل قسنطينة لأنه كان من أكبر وأشهر رجال الحكم في الجزائر ، واستطاع أن يتغلغل في أوساط الشعب ببساطته وجده وعدله فأحبه الشعب وحزنوا عليه ومن ذلك اليوم حسب ما تقوله الأسطورة **<< ارتدت نساء قسنطينة الحجاب الأسود >>** [4] .

**مصادرة أمواله:**

اهتمت الكتابات الفرنسية بأموال صالح باي، فقد وصلت تلك الأموال حيث بعض المصادر إلى **12 مليون من الفرنكات** ، والذهب والفضة، والأثاث الرفيع، والسلاح الثمين، وما كان من الأموال عنده كاد يماثل ما في خزانة الجزائر نفسها، وهذا ما دفع بالشيخ المبارك يقول :«...**جمع من الأموال ما لم يجمعه غيره** »[5] ، هذا بالإضافة إلى الخيول، والبغال، والإبل، والحبوب...الخ، وبعد موت صالح باي قام وكيل الخرج بمصادرتها ورفعها إلى الجزائر حتى ضن الناس عندما رأوها بأنه كان يضرب السكة، كما بقي عدد كبير من

[1] احمد توفيق المدني : **مرجع سابق** ، ص 137 .

[2] انظر : الملحق رقم : 06 .

[3] عبد الرحمان الجيلالي : **مرجع سابق** ، ص 282 .

[4] عمار عمورة : **موجز في تاريخ الجزائر** ، ط1 ، دار ريحانة ، الجزائر ، 2002م ، ص 101 .

[5] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص 304.

الأموال عند أتباعه، وأصحابه، وأهله، والبعض بقي مخزون تحت الأرض، وهو ما يوضح لنا أن أموال الدولة الجزائرية في هذه الفترة لم تكن مصونة ومحمية، حيث كان التلاعب بها من قبل البايات، وهو ما جعل الباشاوات يلجؤون إلى عملية المصادرة لهذه الأموال بعد مقتل البايات أو عزلهم[1] .

وبهذا طويت صفحة هذا البطل الذي دام حكمه **اثنين وعشرين سنة (22سنة)** وبموته خسرت الجزائر قائدا فذا ورجلا سياسيا عظيما عالما بمصالح البلاد ومتطلباتها ، ولم تجد قسنطينة بايا في تاريخها مثل صالح باي ولقد مجده أهل قسنطينة و أسسوا له ناديا أسموه ( نادي صالح باي ) ، وكذلك كتبوا قصيدة ترثيه[2] وتذكر من خلالها مآثره وخصاله خلدت ذكراه ومنها هذه الأبيات :

قالوا العرب قالوا ما نعطيوا صالح ولا مال

ولـو نـقتلوا آه ويطيح الركاب على الركاب

هذي من الله جات يرحم من كان حزارا

وروحوا لداره بالسيارة

[1] مجهول : مصدرسابق، ص 17.

[2] انظر: الملحق رقم 10 .